أسلوب التضمين في القرآن الكريم والخلافات فيه

إعداد: سوكامتو

الملخص:

تهدف هذه المقالة إلى معرفة أسلوب التضمين والخلافات حوله عن طريق البحث المكتبي بالاطلاع على كتب التفسير والبلاغة والنحو واللغة العربية وانتهت إلى النتائج التالية: 1)إن أسلوب التضمين من باب التوسع في ألفاظ اللغة، لأنه إعطاء مجموع معنيين أو أكثر. أما كونه من المجاز أم لا، اختلف فيه العلماء والمشهور أنه من المجاز، على الأقل المجاز الإسنادي.2)التوسع في ألفاظ اللغة واستعمال اللفظ الواحد لأداء معان متعددة أمر ضروري لأن الألفاظ محدودة والمعاني غير محدودة ومن التوسع استخدام المجاز.3) التوسع المراد هنا من باب الإيجاز وهو صياغة كلام قصير يدل على معنى كثير واف بالمقصود.4) إن مصطلح "الحذف" فيما يتعلق بالآيات القرآنية مصطلح نظري لإظهار معنى الإيجاز، و لا يدل على معنى النقص في الجملة أو الكلمة أو الحرف على الإطلاق. وذلك لأن المعنى إنما يكون في السياق وليس غير. فالجملة أو الكلمة أو الحرف الواحد قد تدل على أكثر من معنى في سياقات مختلفة.5–لا يمكن تطبيق ما ذهب إليه الكوفيون، من أن حرف الجر له أكثر من معنى، على جميع النصوص، كما أن تطبيقه على ما يمكن منها يفوت كثيرا من القيم البلاغية والأدبية والإشارات والمعاني والمدلولات، لأنهم ينحصرون في الحرف ولا يتجاوزون إلى الفعل الذي يحدد مضمون الجملة. الكلمات المفتاحية: (الإيجاز – التوسع في استعمال الألفاظ – التضمين)

مقدمة:

يتميز أسلوب القرآن بالإيجاز، وهو التعبير عن المعاني الكثيرة بكلام قصير و وألفاظ قليلة. ومنه ما يسمى بأسلوب التضمين. إن فكرة التضمين ليست أمرا جديدا، فقد تعرض لها ابن جني حيث قال: إن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذانا بأن معنى هذا الفعل في معنى ذلك الآخر.[1] وفي العصر الحديث حظي موضوع التضمين بعناية المجمع اللغوي القاهري.ومما جاء في قراره أن التضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه من التعبير مؤدي فعل آخر أو ما في معناه، فيعطى حكمه من التعدية واللزوم، وهو قياسي لا سماعي بشروط ثلاثة: 1) تحقيق المناسبة بين الفعلين؛ 2) وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس؛ 3)ملاءمة التضمين للذوق العربي.[2] من الملاحظ أن هذه الشروط التي وضعها المجمع اللغوي للتضمين هي الشروط التي تقررت في البلاغة لصحة المجاز تقريبا.

يتوسع استعمال اللفظ بالتضمين توسعًا يجعله مؤديًا معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم.والتوسع في اللغةِ واستعمالِ الألفاظ ضرورة أصيلة لا غنى عنها لكل اللغة، ذلك لأن الألفاظ محدودة والمعاني غير محدودة.ومعنى التوسع خروج اللفظ عن مكانه الأصلي واستعماله في غير ما وضع له.وهذا يعني أن دلالته تختلف من سياق إلى آخر[3].

فلما كانت الألفاظ إنما عُبرت لأجل الإحاطة بالمعاني فلا سبيل لها إلا بالتوسع في استعمالها، ومع ذلك فإنها، بهذا التوسع، في كثير من الأحيان ما زالت عاجزة عن الإحاطة بالمعاني. وهذا شيء

---

[1]أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، بيروت: عالم الكتب، 1983، ج 2، ص: 308

[2]مجلة المجمع اللغوي، ج 1، ص 180

[3]أحمد أبو زيد، *المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن*، الرباط: مكتبة المعارف، 1968: ص 167

منطقي لأن الشيء المحدود لا يبلغ أبدا إلى أن يحيط بما هو غير محدود. من هنا يتبين أن التوسع في ألفاظ اللغة واستعمال اللفظ الواحد لأداء معان متعددة أمر ضروري. ومن التوسع استخدام المجاز، فهو ليس كذبا ولا أخا للكذب وإنما هو ضرورة تعبيرية[4] هذا التوسع يشمل الأفعال والحروف والأسماء وكذلك الحذف والزيادة والتقديم والتأخير،[5]بعبارة أخرى، إن كل كلام أو جملة أو كلمة قد يستخدم للتعبير عن أكثر من معنى أو فكرة.رغم أن ابن تيمية أنكر وجود المجاز في القرآن فإنه لا ينفى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على معنيين أو أكثر.[6]

الأسلوب في اللغة طريق أو فن. أما اصطلاحا فهو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه وهو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.[7]. وإذا كانت اللغة ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم فإن الأسلوب عبارة عن الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه والتي تمثل ما في نفس الكاتب أو المتكلم. فهناك نظام معنوي انتظم وتألف في نفس الكاتب أو المتكلم فكان بذلك أسلوبا معنويا، ثم تكوّن التأليف اللفظي على مثاله، فصار ثوبه الذي لبسه. وعلى هذا، فالأسلوب معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظا منسقة.[8]

---

[4]أحمد أبو زيد، *المصدر السابق*، ص 113

[5]المصدر السابق، ص 200

[6]أنكر ابن تيمية وجود المجاز في القرآن ولكنه لا ينفي استعمال اللفظ الواحد للدلالة على معنيين أو أكثر من باب الألفاظ المتواطئة، وليس من باب المجاز، بل من باب الحقيقة.ذلك لأن اللفظ – حسب نظريته – لا يستعمل إلا مقيدا. وإذا كان اللفظ لا يستعمل إلا مقيدا فإنه يسبق إلى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع. بعبارة أخرى إن معنى اللفظ متوقف على سياقاته. فقد يكون للفظ واحد أكثر من معنى بحسب سياقاته، وليس من باب المجاز. فالاختلاف إذن في المصطلح وليس في الماهية.اقرأ : أحمد أبو زيد، *المصدر السابق*، ص230-231

[7]الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء الثاني، ص 303

[8]أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1990، ص : 40

القرآن له أسلوبه في التعبير عن المعاني. فالمتدبر في معاني القرآن لا بد من تعرّف أساليبه الخاصة، لأنه نزل بلسان عربي مبين بما فيها من الحقيقة والمجاز والكناية والتقديم والتأخير إلى غير ذلك.[9] فمحاولة فهم معاني القرآن تتطلب فهم أساليب القرآن التي تميزت تميزا فريدا عن الأساليب الأخرى بحيث يسهل لمن له ذوق سليم التفريق بين النصوص القرآنية وغيرها من النصوص.

وفيما يخص بالعلاقة بين اللفظ والمعنى فلا تخلو أن تكون العلاقة بينهما في شكل المساواة إذا كان اللفظ يساوي المعنى، أو الإطناب إذا كان اللفظ أكثر من المعنى، أو الإيجاز إذا كان المعنى أكثر من اللفظ. فلا بد لمن أراد أن يفهم معاني القرآن من تعمق هذا الأخير، وإلاّ فسوف يفقد كثيرا من المعاني التي يحتوي عليها اللفظ. إن مسألة الإيجاز والإطناب من الأمور النسبية التي لا تخضع لمعيار دقيق وليس هناك حد ثابت يمكن القياس والاعتماد عليه في كل وقت، والمعول في ذلك أمران: الأول موافقة الخطاب، والثاني أن لا يكون المعنى قاصرا أو زائدا لا يفيد.[10]

ظاهرة أسلوب الإيجاز في القرآن الكريم

هناك أنواع من أساليب الإيجاز التي استخدمها القرآن منها الاقتطاع والاكتفاء والاحتباك والاختزال والتضمين. وهذه الأساليب الخمسة كثيرا ما عبر عنها بالأساليب التي حذف منها بعض حروف الكلمة أو الكلمة أو الجملة أو عدة جمل مع مراعاة النواحي البلاغية في ذلك. هذه المقالة تسلط الضوء على أسلوب التضمين، و هو واحد من الأساليب الخمسة التي تعبر عن المعنى بلفظ أقل منه مع مراعاة النواحي البلاغية .

---

[9]اقرأ :محمد طاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مجلد 19: تونس: الدار التونيسية، ص 119

[10]توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني، القاهرة : مكتبة الآداب، 1991، ص: 242 – 243

الإيجاز لغة اختصار الكلام وتقليل ألفاظه مع بلاغته، واصطلاحا هو التعبير عن المراد بكلام قصير ناقص عن الألفاظ التي يؤدى بها عادة في متعارف الناس، مع وفاءه بالدلالة على المقصود؛ أو صياغة كلام قصير يدل على معنى كثير واف بالمقصود، عن طريق اختيار التعبيرات ذات الدلالات الكثيرة.[11]. وقال توفيق الفيل: الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط.[12] وهو ضربان: إيجاز القصر وإيجاز الحذف.

فالأول ما ليس بحذف، كقوله تعالى: " ولكم في القصاص حيوة"[13] رغم أن اللفظ قليل ولكن المعنى كثير يزيد على لفظه لأن المراد به: إن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قُتِل كان ذلك داعيا له قويا إلى أن لا يقدم على القتل. فارتفع بالقتل – الذي هو قصاص– كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان في ارتفاع القتل حياة لهم.[14]. وآية : " لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا...[15]" اللفظ قليل ولكن المعنى أكثر من لفظه كما فسره القاسمي:"إن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييرا وتبديلا، وإيجادا وإعداما وإحياء وإماتة... لو تعدد الإله، فإن توافق الكل في المراد، تطاردت عليه القدر، وإن تخالفت تعاوقت. فلا يوجد موجودا أصلا. وحيث انتفاء التالي تعين

[11]عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق: دار القلم، 1996، ط1،ج 2 ص: 26-27

[12]توفيق الفيل، بلاغة التركيب، دراسة في علم المعاني، القاهرة: مكتبة الآداب، 1991، ص : 242

[13]سورة البقرة (2): 179

[14]الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، بيروت : دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص 368

[15]سورة الأنبياء: آية 22

انتفاء المقدم."[16] ووجه الفساد أن كون إله آخر مع الله يستلزم أن يكون كل واحد منهما قادراً على الاستبداد بالتصرف؛ فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف، ويحدث بسببه الفساد.[17]

والثاني ما يكون بحذف. والمحذوف إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة. وقد يكون جزء الجملة المحذوف:

1) **مضافا: كقوله تعالى: حرمت عليكم الميتة . التقدير: حرمت عليكم تناول الميتة.**
2) **أو صفة، كقوله تعالى: " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا"[18]، والتقدير: "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة أو صالحة غصبا"، بدليل ما قبله.**
3) **أو جواب شرط، وهو ضربان: إما لمجرد الاختصار، كقوله تعالى: "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى"[19]. أي لكان هذا القرآن.وإما للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب ممكن، كقوله تعالى: وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. [20] فجواب "إذا" غير مذكور للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف لغاية السعادة، تقدير الجواب: لرأوا شيئا عظيما جدا تعجز عباراتهم عن وصفه.وكقوله تعالى: "ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من**

---

[16]القاسمي، *محاسن التأويل*، مجلد 7، ص: 183-184

[17]أبو الطيب محمد صديق خان فتح البيان في مقاصد القرآن، صَيدَا – بَيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَشْر، 1412 هـ - 1992 م مجلد 8 ص: 316)

[18]سورة الكهف (18): 79

[19]سورة الرعد (13): 31

[20]سورة الزمر (39): 73

المؤمنين"،[21] والتقدير: " ولو ترى إذ وقفوا على النار لرأيت ما هم فيه من الرعب والكرب والحسرة والندم شيئا لا تستطيع وصفه بالعبارة."[22]

أنواع الحذف:

ينقسم الحذف إلى خمسة أقسام: الاقتطاع والاكتفاء والاحتباك والاختزالوالتضمين.

القسم الأول: الاقتطاع هو حذف بعض حروف الكلمة أو ما هو بمثابة الكلمة الواحدة، تخفيفا على مخارج الحروف، أو لداعي السرعة، ومنه حذف نون فعل " يكون" المجزوم، كقوله تعالى: أيحسب الانسان أن يترك سدى. ألم يك نطفة من مني يمنى. [23]الأصل: " ألم يكن" فحذفت النون تخفيفا. ومنه حذف التائين المتواليتين في الفعل الوارد على وزن تتفعّل، كقوله تعالى: " ذلكم وصسكم به لعلكم تذكّرون.[24]. الأصل: تتذكرون فحذفت إحدى التاءين تخفيفا. ومنه حذف التاء من استطاع على غير قياس في قوله تعالى: "ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا" [25] . لعل هذه إشارة إلى طبيعة موسى عليه السلام التي لا تستطيع أن تصبر مع العبد الصالح الذي هو سيدنا خضر –فناسبها تقليل حروف الكلمة– لأن الآية هنا في سياق المفارقة ولا كلام بعدها. أما الآية قبل هذا فلا حذف فيها : "سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا"[26] بدون حذف التاء في "لم تستطع" لأن الآية هنا في سياق الشرح والتبيين فلا حاجة

---

[21]سورة الأنعام(6): 27

[22]حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق: دار القلم، 1996، ط1 : 41 –42

[23]سورة القيامة(75): 36 –37

[24]الأنعام (10): 152

[25]سورة الكهف (18): 82

[26]سورة الكهف (18): 78

إلى الحذف [27]. ومنه حذف آخر الكلمة لمراعاة التناسب في الفواصل، كقوله تعالى: " والفجر. وليال عشر . والشفع والوتر. واليل إذا يسر.[28] الأصل: إذا يسري، فحذف آخر حرف فيها لمراعاة الفاصلة. وكذلك وثمود الذين جابوا الصخر بالواد.[29] الأصل : بالوادي، حذفت الياء لمراعاة الفاصلة.

القسم الثاني: الاكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة بلاغية، كقوله تعالى: " والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم..." ففي قوله تعالى: وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر إيجاز بالحذف على سبيل الاكتفاء ، إذ التقدير: تقيكم الحر والبرد. وإنما خص الحر بالذكر لأن المخاطبين الأولين كانوا عربا، وبلادهم حارة، فالوقاية من الحر هي الأهم لدى معظمهم.[30] وأما الوقاية من البرد بصفة خاصة [31] فهناك قوله تعالى: والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون [32]

القسم الثالث: الاحتباك وهو أن يحذف من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر، ويحذف من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل. كقوله تعالى: " قد كان لكم آية في

---

[27] فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، بغداد: مكتبة النهضة، 2006، ص : 17

[28] سورة الفجر (89): 1-4

[29] سورة الفجر(89): 9

[30] حبنكةالميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق: دار القلم، 1996، ط1 ج 2 ص 48 – 49

[31] حبنكةالميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق: دار القلم، 1996، ط1 ج 2، ص: 49

[32] سورة النحل (16): 5

فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل اللهوأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين، والله يؤيد بنصره من يشآء، إن في ذلك لعبرة لأوْلي الأبصار.[33]

والمحاذيف هي ما تحته خط فيما يلي: " قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة (مؤمنة) تقاتل في سبيل الله و (فئة)أخرى كافرة (تقاتل في سبيل الطاغوت) يرونهم مثليهم رأي العين، والله يؤيد بنصره من يشآء، إن في ذلك لعبرة لأوْلي الأبصار".

وكقوله تعالى: " وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم، إن الله غفور رحيم".[34]

والمحاذيف هي ما تحته خط فيما يلي: وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا (بسيء) و(عملا) آخر سيئا(بصالح) عسى الله أن يتوب عليهم، إن الله غفور رحيم" والمعنى أنهم يعملون عملا صالحا، ويعملون بعده عملا سيئا، وهكذا دواليك.

القسم الرابع: الاختزال هو كل حذف يشمل حذف الاسم والفعل والحرف وحذف جملة أو عدة جمل وحذف كلام طويل في قصة ذات أحداث كثيرة.

1)حذف الاسم: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا.[35] **والتقدير: يأخذ كل سفينة غير معيبة غصبا، بدليل قوله: " فأردت أن أعيبها. وهذا من حذف الصفة.**

[33] سورة آل عمران(3): 13

[34] سورة التوبة (9): 102

[35] سورة الكهف (18): 79

فكرة التضمين :

كما هو معلوم أن من الأفعال المتعدية ما يتعدى مباشرة، مثل : " شربت الماء" و "أكلت الخبز" وما يتعدى بواسطة حرف الجر مثل : " ذهب الله بنورهم" . وقد يكون حرف الجر الذي يتعدى به الفعل محذوفا فأصبح الفعل الذي دخل فيه حرف الجر منصوبا بسبب نزعه منه، على سبيل المثال: " لأقعدنهم صراطك المستقيم " إذ الأصل "على صراطِك المستقيم" بجر "صراط" فحذفت "على" فصار "صراطَك المستقيم" بقتح الطاء منصوبا بنزع الخافض وهو " على".

والمسألة أننا نجد كثيرا من الآيات القرآنية كأنها تتعدى بالحرف مع أنها في العادة تتعدى مباشرة بدون الحرف، على سبيل المثال: لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [36].عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ[37] في العادة فعل " يخالف" ويشرب يتعديان مباشرة؛ أو تتعدى بالحرف الذي ليس لها في العادة، مثلا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا [38] في العادة فعل يستمع يتعدى ب "إلى" وهنا بالباء.

فالسؤال:ما هي المعاني التي تترتب عليها ظاهرة نظام ما ذكر من الفعل وحروف الجر التي لم يكن يتعدى بها في العادة ؟ وهل لحروف الجر معنى واحد مثل حروف النصب والجزم أو معان كثيرة مثل بعض الأسماء بحيث ينوب الحرف عن معنى الحروف الأخرى ؟ أو أن وراء هذه الظاهرة معنى جديدا يختلف عما سبق ذكره؟

[36] سورة النور (24) : 63

[37] سورة المطففين (83): 28

[38] سورة الإسراء (17): 47

للإجابة عن هذه الأسئلة يحسن بالكاتب تناول ما يتصل بالعلاقة بين الفعل وحروف الجر من عدة النواحي واختلاف مذهب البصرة والكوفة فيما يخص بمعنى حروف الجر، ثم الكلام عن ظاهرة أسلوب الإيجاز في القرآن الكريم لأجل الكشف عن احتمال ظاهرة الإيجاز في نظام العلاقة بين الفعل وحروف الجر، وتسسليط الضوء على أسلوب التضمين.

أما أهمية البحث فإن أسلوب التضمين من الموضوعات التي لم تحظ بعناية كبيرة –كما ينبغي– من قبل المفسرين الأوائل من أهل اللغة كأبي عبيدة والأخفش والفراء وابن قتيبة مكتفين بتوجيه الآيات على القول بتناوب الحروف كما ذهب إليه جل نحاة الكوفة[39]، فحاول الكاتب في هذا البحث أن يكشف عن المعاني الجديدة غير المفهومة من تناوب الحروف.

المجرور بحروف الجر:

اختلف النحاة في تعاقب حروف الجر إلى مذهبين:الأول، مذهب البصرة القائل إن حرف الجر ليس له إلا معنى واحد أصلي، بمعنى أن كل حرف دل على معنى مستقل غير المعنى الذي دل عليه الآخر. فإن أدى غير معناه الأصلي فهو إما يتضمن معنى الفعل أو عامل معنى فعلي أو عاملا آخر يتعدى بهذا الحرف.والثاني مذهب الكوفة القائل بأن حرف الجر له أكثر من معنى، بعبارة أخرى،إن دلالة حرف الجر قد تتوسع بحيث يحمل معنى حرف الجر الآخر. فالحرف ما هو ملفوظ وما هو ملحوظ.[40] وذلك لأن الحرف كلمة كالأسماء والأفعال التي صح أن يكون له معان عدةحيث ذهبوا إلى جواز نيابة بعض حروف الجر عن بعضها قياسا، وإلى وقوع التجوز في استعمال حروف الجر. فالمدار

---

[39] محمود إسماعيل عمار، *الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر، 1998، ص 31*

[40] محمود إسماعيل عمار، الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر،1998، ص 29

عندهم الحرف، والتجوز يقع فيه ، وحملوا الحروف على معاني حروف أخرى تنسجم مع الأفعال التي وقعت في سياقها، مثل نيابة حرف "إلى" عن حرف "مع" في الآية:".. من أنصاري إلى الله..."[41] (أي مع الله)، ونيابة حرف "في" عن حرف "على" في الآية: ...ولأصلبنكم في جذوع النخل.."[42] (أي على جذوع النخل). بخلاف جل نحاة البصرة، وعلى رأسهم الخليل وتلميذه سيبويه، فإنهم ذهبوا إلى القول بالتضمين. وكتاب ابن جني من أكثر المصادر اللغوية القديمة التي عنيت بهذا اللون من التعبير.[43] وأيده ابن العربي الإشبيلي حيث قال إن عادة العربي أن تحمل معاني الأفعال على الأفعال لما بينهما من الارتباط والاتصال وابن عطية حيث ضعّف قول بعض المفسرين القائلين إن حرف "إلى" في قوله تعالى : " قال من أنصاري إلى الله" بمعنى "مع" إذ لا يصح أن تفسر "مع" في قوله تعالى " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق" ب "مع" لأن هناك فرقا كبيرا بين "إلى المرافق" و " مع المرافق". ومع ذلك فإنه وافق تفسير قوله تعالى " فستبصرون ويبصرون. بأيكم المفتون." ب "فستبصرون ويبصرون. في أيكم المفتون" وليس على اعتبار أن حرف الباء هنا بمعنى "في" وإنما أن الفعل يبصرون قد يتعدى ب " الباء" وقد يتعدى ب " في". أما مذهب البصرة فقد دعم القائلين بالتضمين. وذلك لأن بعض الحروف في بعض التراكيب لا تلائم الفعل الذي تقع في سياقه، أو تتعلق به، ولا ينسجم الحرف مع ظاهر الفعل ودلالته، وتصبح الدلالة المباشرة للفعل غير متعينة. إما لأن الفعل قد استعمل معه حرف جر، مع أنه أصلا لا يحتاج إلى حرف جر. أو جُرّد الفعل من حرف الجر مع أنه، أصلا، يحتاج إلى حرف الجر.أو قد يتعدى الفعل بحرف جر بعد استعمال معمولاته على غير ما جرى عليه استعمال هذا الفعل، أو يتعدي

[41] سورة آل عمران: 52

[42] سورة طه: 71

[43] ابن ساليد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ص 262

الفعل بغير الحرف الذي عُدّي به. فالأول مثل قوله تعالى: " فليحذر الذين يخالفون عن أمره" [44] فالفعل "يخالف" يتعدى بنفسه أي بدون حرف الجر، ولكننا نجده هنا متعديا بحرف "عن". والثاني مثل قوله تعالى: " ولا تعزموا عقدة النكاح" فالفعل "عزم" يتعدى ب " على" ولكننا نجده هنا متعديا بنفسها أي بدون حرف الجر. والثالث مثل قوله تعالى " ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم" فالفعل يتعدى إلى مفعول واحد وقد استوفاه وهو " أموالهم" ولكنه عُدّي بعد استيفاء معموله ب " إلى" على غير ما جرى عليه استعمال هذا الفعل وهو " إلى أموالكم". والرابع مثل قوله تعالى: " أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم" فالرفث يتعدى بالباء ، يقال: رفث بامرأته ومعها" ولكن نجده هنا عدي ب " إلى".

بناء على ما سبق ذكره، ذهب البصريون إلى أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض قياسا، فكل منها مستقل بمعناه. كما تستقل في المعنى حروف النصب وحروف الجزم فلا تنوب بعض حروف النصب عن بعض ولاحروف الجزم عن بعض، لدلالة كل منهما على معنى لا يفي به غيره.[45]. وفي هذا الصدد قال ابن جني : " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه."[46] مما سبق بيانه يمكننا القول أن الفرق بين البصريين والكوفيين هو أن الأول يذهب إلى أن توسع المعنى يقع في الفعل والثاني يذهب إلى أن توسع المعنى يقع في الحرف.

تعريف التضمين :

---

[44] سورة النور (24): 63

[45] محمود إسماعيل عمار، الأخطاء الشائعة في استعمال حروف الجر،1998، ص 29

[46] أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، بيروت: عالم الكتب، 1983، ج 2، ص: 308

والتضمين من ضمّن الشيء بمعنى أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع.[47] أو جعل الشيء في باطن شيء آخر، وإيداعه إياه، ويقال: ضمن فلان ماله خزانته، فتضمنته هي، والخزانة مضمن فيها، وهي أيضًا متضمنة والمال متضمن[48]للتضمين مجموعة من التعريفات أهمها:" أن يؤدي (أو يتوسع) في استعمال لفظ توسعًا يجعله مؤديًا معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم.[49]وهو عند بعضهم: "إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه؛ لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين"[50] وقال حبنكة : التضمين هو تضمين كلمة معنى كلمة أخرى وجعل الكلام بعدها مبنيا على الكلمة غير المذكورة. كالتعدية بالحرف المناسب لمعناها فتكون الجملة بهذا التضمين بقوة جملتين. لذلك فهو فن من فنون الإيجاز في البيان وصنف من أصناف الحذف الذي يترك في اللفظ ما يدل عليه.مثلا: أريد أن أقول: جلست على فراشي وأملت جسمي إلى متكئي، فأختصر الكلام فأقول: " جلست إلى متكئي.[51]

وقال الزركشي إن التضمين إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف. فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسما معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعا كقوله تعالى: " حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق "[52] ضمن حقيق معنى "حريص" ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه.[53] وأما الأفعال فأن تضمن فعلا معنى فعل آخر ويكون فيه معنى الفعلين جميعا، بأن

---

[47]إنعام فوال عكاري، لمعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، ، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: 374

[48]لسان العرب، مصباح المنير مادة ض م ن

[49]ابن جني ، الخصائص، مجلد 2 ص 308

[50]ابن هشام، مغني اللبيب، مجلد، 791

[51]حبنكة: ص 49 – 50

[52]الأعراف (7): 105

[53]ابن القيم إمام الجوزية، *الفوائد المشوق إلى علوم القرآن*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988، ص: 44

يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعديا بحرف آخر ليس من عادته التعدي به، فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الفعل ليصح تعديه به.[54]

أما الغرض من التضمين فإعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد[55] **قال ابن جني إن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بحرف آخر؛ فإن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر؛ فلذلك جيء بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه؛ على سبيل المثال:**

قوله تعالى:

1-﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾[56] **، وأصل الرفث لا يتعدى لغة بحرف "إلى" لكنه ضمن معنى فعل " أفضى" الذي يتعدى بإلى، فعُدّي تعديته، يقال: " أفضى إلى زوجته أي أزال ما بينهما من الفضاء فالتصق بها، وهو كناية عن الجماع. فتقدير الكلام: أحل لكم ليلة الصيام الرفث بالحديث مع نساءكم مقدمة مناسبة يكون بعدها الإفضاء إليهن وجماعهن.**[57]

2-"...ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم.."[58] **أي ولا تضموها إليها آكلين لها. والغرض فيه إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد.**

3-إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا. عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا.

---

[54]إنعام فوال عكاري المعجم المفصل..... ص: 375

[55]الأشباه والنظائر، المجلد 1 ص 13

[56]سورة البقرة: 187

[57]حبنكة، البلاغة العربية أسسها.....، ج 2، ص: 51 -52

[58]سورة النساء : 2

إن فعل " يشرب" يعدى لغة بحرف "من" لكنه جاء في النص هنا متعديا بحرف الباء. بالتأمل نجد أن فعل " يشرب" ضُمّن معنى فعل " يتلذذ" أو " يرتوي" الذي يعدى بحرف الباء، فعدي تعديته . والتقدير: عينا يشرب منها متلذذا بها عباد الله ، فأغنى " يشرب بها" عن عبارة: يشرب منها ويتلذذ بما يشرب عباد الله. فالفعل المذكور دل على معناه بصريح العبارة، وحرف الجر " الباء" دل على الفعل المحذوف الذي ضمن الفعل المذكور معناه، فأغنت جملة عن جملتين، وهذا من الإيجاز.

4–اذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكى[59]

عبارة " هل لك" استفهام وخبر مقدم والمبتدأ محذوف، تقديره: " هل لك رغبة" وكلمة " رغبة" تعدى بحرف " في" لا بحرف إلى، ولكن ضمنت معنى فعل " أدعو" فعدّيت تعديته. والتقدير: هل لك رغبة في أن أدعوك إلى أن تزكى؟

5–وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفواْ عن السيئات ويعلم ما تفعلون.[60]

فعل " يقبل" يتعدى لغة بحرف "من"، فيقال: قبل الله منه توبته. ولكن عدّي هنا بحرف "عن" لأنه ضمن معنى فعل " عفا" أو " صفح" الذي يتعدى ب " عن"، فعُدّي تعديته. والتقدير: وهو الذي يقبل التوبة من عباده إذا يعفو ويصفح عنهم".

6–وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون.

[59] سورة النازعات (79) : 17 -18

[60] الشورى (42): 25

إن فعل " خلا" يأتي في اللغة للدلالة على معنى انفراد الإنسان في خلوة، لا يكون معه فيها أحد، فيقولون: خلا الرجل، وربما قالوا: خلا بنفسه. فإذا أرادوا بيان أن الخلوة حصلت مع فريق آخر، قالوا: خلا به أو خلا معه. ولا يعدى فعل " خلا" بحرف "إلى" بحسب أصل الاستعمال، ولكن نجده هنا عُدّي بحرف "إلى"، وبعد التأمل نجد أن فعل " خلا" ضُمّن معنى فعل " رجع" فعُدّي تعديته، والتقدير: وإذا خلوا راجعين إلى شياطينهم قالوا لهم إنا معكم إنما نحن مستهزءون بالمؤمنين.[61]

7– قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه...[62]

إن كلمة " سؤال" لا تعدى بحرف "إلى" ولكن بما أنها ضمنت معنى الجمع والضم فعديت بحرف "إلى"، والتقدير: لقد ظلمك بسؤال نعجتك ضاما إياها إلى نعاجه. فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه. والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته.[63]

8–يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض[64]

كلمة " اثاقلتم" هنا ضُمّنت معنى كلمة "مال" أو أخلد" فعديت بحرف " إلى". فالتقدير: تثاقلتم مائلين أو مخلدين إلى الأرض.

الاستنتاج:

مما سبق بيانه يمكننا استنتاج ما يلي:

---

[61] حبنكة البلاغة العربية أسسها.....، ج 2، ص:51 – 52

[62] سورة ص (38): 24

[63] حبنكةالبلاغة العربية أسسها.....، ج 2، ص: 53

[64] سورة التوبة (9): 38

1–إن التوسع في ألفاظ اللغة واستعمال اللفظ الواحد لأداء معان متعددة أمر ضروري لأن الألفاظ محدودة والمعاني غير محدودة ومن التوسع استخدام المجاز .

2–وأسلوب التضمين من باب التوسع في ألفاظ اللغة، لأنه إعطاء مجموع معنيين أو أكثر. أما كونه من المجاز أم لا، اختلف فيه العلماء والمشهور أنه من المجاز، على الأقل المجاز الإسنادي.

3– التوسع المراد هما من باب الإيجاز وهو صياغة كلام قصير يدل على معنى كثير واف بالمقصود.

4–إن مصطلح "الحذف" فيما يتعلق بالآيات القرآنية مصطلح نظري لإظهار معنى الإيجاز، و لا يدل على معنى النقص في الجملة أو الكلمة أو الحرف على الإطلاق. وذلك لأن المعنى إنما يكون في السياق وليس غير. فالجملة أو الكلمة أو الحرف الواحدة قد تدل على أكثر من معنى في سياقات مختلفة.

5– لا يمكن تطبيق ما ذهب إليه الكوفيون من أن حرف الجر له أكثر من معنى، على جميع النصوص، كما أن تطبيقه على ما يمكن منها يفوت كثيرا من القيم البلاغية والأدبية والإشارات والمعاني والمدلولات لأنهم ينحصرون في الحرف ولا يتجاوزون إلى الفعل الذي يحدد مضمون الجملة تقريبا.

ثبت المصادروالمراجع :

القرآن الكريم

أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، بَيروت: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، 1412 هـ - 1992 م

أبو زيد،أحمد، *المنحى الاعتزالي في البيان وإعجاز القرآن*، الرباط: مكتبة المعارف، 1968

أبو الفتح عثمان ابن جني، *الخصائص*، بيروت: عالم الكتب، 1983، ج 2،

أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1990، ص : 40

ابن القيم إمام الجوزية، *الفوائد المشوق إلى علوم القرآن*، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988
ابن عاشور، محمد طاهر، *التحرير والتنوير*، مجلد 19: تونس: الدار التونيسية
ابن ساليد البطليوسي، *الاقتضاب في شرح أدب الكتاب*، دون سنة ومكان
توفيق الفيل، *بلاغة التراكيب، دراسة في علم المعاني*، القاهرة : مكتبة الآداب، 1991
عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، *البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها*، دمشق: دار القلم، 1996
عمار،محمود إسماعيل ، *الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر*، 1998
الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع*، بيروت : دار الكتب العلمية، 2003
فاضل صالح السامرائي، *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني*، بغداد: مكتبة النهضة، 2006
القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، *محاسن التأويل* ، بيروت : دار الكتب العلميه - الطبعة: الأولى - 1418 هـ
لسان العرب، مصباح المنير مادة ض م ن
الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، الجزء الثاني
مجلة المجمع اللغوي، ج 1، ص 180